الملك الشاب

للكاتب الانكليزي أوسكار وايلد

مترجمة بقلم الأديب بشر الشوبقي

هي آخر ليلة تسبق اليوم المعين لتتويج الملك الشاب وكان يجلس وحيداً في غرفته الفخمة ، بعد أن خرج من حضرته رجال بلاطه جميعهم مقبلين الأرض بين يديه تبعاً لعادات ذلك الزمن ، عائدين إلى قاعة القصر الكبرى ليتلقوا آخر درس في المعاشرة من أستاذ التشريفات . لقد كان بينهم من لا يزال محتفظاً ببعض أخلاقه الفطرية ، ومما يؤسف له حقاً أن مثل هذه الأخلاق تعد في البلاط من أكبر الكبائر

لم يأسف الغلام لرحيلهم — أقول الغلام لأنه كان غلاماً حقيقة لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره — بل استلقى على الوسائد الناعمة متنفساً الصعداء وقد كان وهو مضطجع على فراشه ينظر بعينيه المستوحشتين وفمه مفتوح أشبه مايكون بأفواه الأحراج الأسمر أو بحيوانات الغابة الصغار إذا ماوقعت في فخاخ الصيادين

والواقع أن الصيادين هم الذين عثروا عليه صدفة وهو يجري عارى الساقين وراء قطيع المعاز الفقير الذي رباه وكان عنده بمنزلة ولده

كان الطفل ابن وحيدة الملك الشيخ ، ولدته على أثر اقتران سري برجل من العامة ، وقد اختلف الناس في حقيقة ذلك الشخص فبعضهم يقول إنه شاب غريب يعزف على القيثار أوقع الأميرة في شرك جماله ، وآخرون يتحدثون عنه أنه فنان رفيع النسب جاء من « روميني » واختفى فجأة من المدينة تاركا عمله في الكنيسة قبل أن ينتهي . وقد سرق هذا الطفل من جنب والدته أثناء رقادها قبل أن يبلغ سبعة أيام من عمره وعُهد بتربيته إلى قروي يعيش هو وزوجته في طرف غابة تبعد عن المدينة مسير يوم ؛ وماتت والدته الفتاة البيضاء ، فأشاع بعضهم أنها ماتت من الحزن ، وقال أطباء البلاط ماتت من الحمى ، وقال آخرون لا بل ماتت منتحرة بأن تجرعت في ساعة من ساعات ضعفها كأساً من النبيذ المعتق مزجت به كمية من السم الايطالي الزعاف ؛ ويذكرون أنه في الوقت الذي وقف فيه الرسول الأمين بالطفل أمام كوخ المعّاز وطرق بابه الغليظ ، كانت جثة الأميرة تنزل في قبر قد شق في أرض صحراوية خارج أسوار المدينة . ويقال إن جثة أخرى كانت ملقاة في هذا القبر هي جثة شاب خلاب الجمال أجنبي الملامح قد شدّ وثاقه بحبلين وأثخن صدره بالجراح الحمراء

بمثل هذه القصة كان يتهامس الناس ، ولكن من الثابت أن الملك الشيخ قد أرسل في طلب الغلام وهو على فراش الموت وأقرّه بحضور مجلس الوزراء ولياً لعهده ؛ وقد يكون الدافع له إلى هذه المبرّة رغبته في التكفير عن جريمته

الفظيعة أو مجرد الحرص منه على إبقاء الملك فى سلالته

وقد أظهر الغلام منذ أن اعترف به أنه قوى الشعور بالجمال ؛ وقد كان لشعوره هذا أعظم الأثر فى حياته ، فهؤلاء الذين ألحقوا بخدمته ليكونوا رهن إشارته كثيراً ماتحدثوا عن صرخة الاغتباط التى تكسرت على شفتيه وعن الفرح الأكبر الذى استولى عليه حين رأى الثوب الناعم والجواهر الثمينة تقدم إليه ليستعيض بها عن ثوبه الجلدى الخشن وفروته الغليظة

ولكنه فقد مع الأيام حرية الحياة فى الغابة ؛ وكان كثيراً ما يشكو من حفلات البلاط المضجرة التى كانت تستغرق كل يوم شطراً كبيراً من النهار ؛ غير أنه وجد فى القصر العجيب الذى أصبح الآن سيده ، عالماً جديداً يصلح ميداناً لنشاطه ، حتى إذا سنحت له فرصة للتخلص من مجلس الدولة أو من قاعة العرش ، جرى هابطاً السلم الرخامى الكبير وأخذ يطوف الغرف غرفة غرفة ويتنقل فى الممرات ممراً ممراً كالذي يبحث عله يجد في الجمال مسكناً لآلامه أو مجدداً لقواه . وكان يرافقه أحياناً فى رحلات الاكتشاف هذه على حد تعبيره وصفاء البلاط الظرفاء بأرديتهم الفضفاضة وأشرطتهم الزاهية الخفاقة ؛ غير أنه كان يفضل الوحدة فى غالب الأحيان ، مدركا بسليقته اليقظة أن أسرار الفن إنما تدرك فى السر أحسن إدراك ، وان الجمال كالحكمة إنما يحب من العابد العزلة

وفى هذا الدور تناقل الناس عنه بعض القصص : ذكروا أن حاكم المدينة الضخم دخل عليه يوماً لياقى بين يديه خطاباً فى مصالح سكان المدينة فوجده راكعاً فى خشوع حقيق أمام صورة كبيرة قد أحضرت من البندقية منذ لحظات ؛ وأنه افتقد مرة فلم يعرف أحد مكانه ، وأخيراً وبعد تفتيش واسع النطاق وجدوه فى غرفة صغيرة تقع فى أحد أبراج القصر الشمالية محدقاً فى ذهول بتمثال « أدونيس » ؛ وتذهب القصة إلى أنه قد شوهد يضغط بشفتيه على جبين تمثال قديم كان قد اكتشف فى قاع نهر أثناء اشتغال العمال ببناء جسر حجرى ، وإلى أنه أمضى ليلة بطولها وهو يتأمل فى منظر انعكاس ضوء القمر على تمثال « الديميون » الفضى

كان يفتنه كل ماهو ثمين ونادر فيرسل التجار بعضهم إلى مصر ليفتشوا له عن هذا النوع الأخضر من اللازورد الذي لا يوجد إلا فى قبور الملوك ، والذى يقال إن فيه خواص السحر ؛ ويرسل البعض الآخر إلى فارس من أجل الأبسطة الحريرية والخزف الدهون ؛ ويرسل آخرين إلى الهند ليبتاعوا له شفوفاً ودماليج وعاجاً ملوناً ومينا أزرق وأحجار وشم وطيالس من الصوف الناعم

ولكن الذى شغل باله أكثر من كل شىء هو الثوب الذى سيرتديه فى حفلة تتويجه وقد نسج بخيوط من ذهب . ثم التاج المرصع بالجواهر الوهاجة ، والصولجان ذو الحلقات الناسية المنتظمة صفاً صفاً . لاريب أنه كان يفكر تلك الليلة فى هذه القطع الخلابة وهو مضطجع على أريكته الفاخرة مراقباً حطب الصنوبر وهو يحترق في الموقد

ولقد خيل إليه فى تلك اللحظة أنه عند مذبح الكنيسة فى حلة الملك الجميلة وابتسامة الطفل قد

ارتسمت على شفتيه فأضاءت عينيه السوداوين بنور بهيج . وها هوذا ينهض من مقعده ويتكىء على بناء المدخنة المقوس ويدير عينيه في الغرفة الباهتة الضوء، وكان يستطيع أن يرى في الخارج قباب الكنائس الضخمة تلوح كالفقاقيع فوق المنازل المظلمة ، والحراس المتعبين يسيرون في الطريق المغشى بالسحاب إلى جانب النهر صاعدين هابطين ، والمندليب يغنى في حديقة بعيدة ، وعبير الياسمين يفوح من النافذة المفتوحة

لقد رفع خصل شعره الفاحم عن جبهته وتناول القيثار وترك أصابعه تعبث بأوتاره فدمعت أجفانه الثقلة وسرى في جسمه فتور غريب

إنه لم يشعر بمثل هذا الشوق من قبل ، ولا بمثل هذا الفرح الشامل ، ولا بمثل غموض هذه الأشياء الجميلة وسحرها . وحينما دقت ساعة البرج مؤذنة بانتصاف الليل لمس جرساً فإذا بوصفائه الغيد الأماليد يدخلون عليه وينزعون عنه ثيابه وينثرون الأزهار على وسادته ، وبعد قليل يغادرون الغرفة فيسلم جفنيه للرقاد

* * *

وقد رأى في رقاده هذه الرؤيا :

وجد نفسه واقفاً في حجرة واطئة طويلة في وسط الدوي المتصاعد من حركة الأنوال الكثيرة ، وضوء الصباح الضعيف يطل على الغرفة من النوافذ المشبكة بقضبان الحديد فيجعله يرى أشباح النساجين قد انحنوا فوق أنوالهم ، والأطفال قد جثموا بأجسادهم الهزيلة المريضة على المقاعد المتقاطعة وقد قرص الجوع وجوههم ، وأرجف البؤس أيديهم الصغيرة والنساء النحيلات يجلسن إلى مناضد الخياطة . وكان الهواء فاسداً ثقيلاً ، والمكان قد امتلأ برائحة خبيثة والجدران تنز بالرطوبة

تقدم الملك الشاب نحو أحد الحائكة ووقف إلى جانبه فنظر إليه الحائك غاضباً وقال :

— لماذا تراقبني ؟ أأنت جاسوس أرسلك معلمنا لتتجسس علينا ؟

فسأله الملك الشاب : ومن هو معلمك ؟

أجاب الحائك بمرارة : إنه رجل مثلي . وفي الحق لا يوجد بيننا من فارق إلا أنه يرتدي أجمل الثياب وأنا أرتدي أحقرها . وأنني مريض من الجوع وهو مريض من التخمة

قال الملك الشاب : إن رحمة الله واسعة وما أنتم بعبيد

أجاب الحائك : في الحرب يستعبد القوى الضعيف ، وفي السلم يستعبد الغني الفقير . يجب أن نشتغل لنعيش . إننا نكدح لهم طول النهار وهم يكدسون الذهب في خزائنهم ، وأطفالنا يذوون قبل الأوان . إننا نعصر العنب ويشرب غيرنا الخمر ؛ ونحصد القمح وبيوتنا فارغة منه . إننا مصفدون وإن كانت العين لا ترى أصفادنا ؛ وإننا عبيد وإن كان الناس يدعوننا أحرارا

— وهل هذا هو حال الجميع ؟

أجاب الحائك : إنه حال الجميع ، حال الشبان وحال الشيوخ ؛ حال النساء وحال الرجال ؛ حال الأطفال الصغار وحال الطاعنين في السن . لقد أنقض التجار ظهرنا ، ومن شقائنا أننا مضطرون أن نخضع لأوامرهم . يمر بنا القسيس راكباً جواده

لاعباً بمسبحته ولا أحد يهتم بنا ، زحف الفقر بعينيه الجائعتين فى أزقتنا التى لا ترى الشمس ، تتبعه الجريمة بوجهها البشع ، يوقظنا البؤس فى الصباح ويجلس الذل معنا فى المساء ، ولكن مالك ولهذا ؟ إنك لست واحداً منا ، إن وجهك يطفح بالبشر

وأشاح بوجهه عن الملك الشاب وأخذ يرمى الوشيعة وسط النول ، فرأى الملك أن الخيوط التى شدت إلى النول من ذهب ، فاستولى عليه جزع عظيم وقال للحائك :

— وأى ثوب هذا الذى تحيكه :

أجاب الحائك : إنه الثوب الذى سيرتديه الملك يوم تتويجه . ولكن أنت ما صلتك بهذا ؟

فصرخ الملك الشاب صرخة أيقظته من رقاده فاذا به لا يزال فى غرفته الخاصة ، وإذا به يرى خلال النافذة القمر الملون معلقاً فى الفضاء

* * *

ولكن الرقاد غلبه مرة ثانية فرأى هذه الرؤيا :

وجد نفسه ممدداً على ظهر مركب ضخم يسيره مائة عبد بمجاديفهم وقد جلس إلى جانبه على بساط ربان المركب وكان أسود كالأبنوس على رأسه عمامة من الحرير قرمزية اللون ، وتتدلى من شحمتى أذنيه المليطتين حلقتان كبيرتان من الفضة ، ويحمل فى يديه ميزاناً من العاج . وكان العبيد عراة الأجسام إلا من جلود بالية ، قد شد وثاق كل واحد منهم إلى جاره تلفحهم حرارة الشمس وتتخن أجسادهم سياط الزنوج . لقد بسطوا سواعدهم النحيلة ودفعوا المجاديف الثقيلة خلال الماء ؛ وأخيراً وصلوا إلى خليج صغير فوقفوا يسبرون غوره ، وفى تلك الأثناء هب نسيم عليل من الشاطئ فغطى ظهر المركب والشراع الكبير بغبرة حمراء زاهية . وعندما ألقوا المرساة وطووا الشراع اندفع الزنوج إلى السفينة وأحضروا سلماً طويلاً مصنوعاً من حبال قد أثقلت بالحديد فرماها الربان فى البحر بعد أن ثبت طرفها بدعامتين فى المركب ، وحينئذ أمسك الزنوج بأصغر العبيد سناً فنزعوا عنه قيوده وحشوا أنفه وأذنيه بالشمع وشدوا حجراً كبيراً إلى صدره فدب على السلم تعباً واختفى فى البحر

وبعد قليل خرج من الماء والتصق بالسلم وهو يلهث ، يحمل لؤلؤة فى اليد اليمنى فتناولها منه الزنوج ودفعوا به إلى الوراء

كان يغوص العبد فى الماء ويخرج ، ثم يغوص ويخرج ، وفى كل مرة كان يحمل معه جوهرة رائعة فيتناولها منه ربان السفينة ، وبعد أن يزنها يضعها فى محفظة من جلد أزرق

لقد حاول الملك الشاب أن يتكلم ، ولكن لسانه التصق بسقف حلقه وأبت شفتاه أن تتحركا . لغط الزنوج متنازعين على خيط خرز أبيض ، وحام مركبان حول المركب ، وأخيراً خرج الغائص لآخر مرة يحمل جوهرة أضوأ من نجمة الصباح ولكن وجهه كان أزرق زرقة مجيبة وحين ارتمى على ظهر المركب أخذ الدم يتدفق من أذنيه وأنفه . لقد تخبط لحظة ثم سكن سكون الموت . فهز الزنوج أكتافهم وقذفوا بالجسم إلى البحر ، وابتسم الربان من بعيد وحينما وصل إليهم تناول الجوهرة ونظر فيها ثم أدناها من جبينه وانحنى

قائلاً : إنها تليق بصولجان الملك ، وأشار إلى الزنوج أن يسحبوا الغائص . وحينما سمع الملك الشاب ذلك صرخ صرخة عظيمة أيقظته من رقاده فأبصر من خلال النافذة أصابع الفجر الشهباء الطويلة ممسكة بالنجوم الزاوية

* * *

ولكن الرقاد غلبه مرة ثالثة فأبصر هذه الرؤيا : لقد ألفى نفسه نائماً فى غابة كثيفة تفح فيها الأفاعى وتطير الببغاوات البيضاء من غصن إلى غصن ، وتتمدد السلاحف الهائلة راقدة على الوحل الملتهب ، وكانت الأشجار مكتسية بالقردة والطواويس

وقد ظل يسير حتى وصل إلى نهاية الغابة ، وهنالك أبصر كتلا عظيمة من الرجال يكدحون فى مجرى نهر جاف ؛ لقد تجمعوا كالنمل عند هاتيك الصخور ، يحفر بعضهم فى الأرض ، ويفلق بعضهم الصخور بالفؤوس الضخمة ، ويستأصل آخرون الصبار من جذوره ؛ كانوا يجرون من هنا لهنالك ينادى بعضهم بعضاً وليس فيهم الكسلان

وكان يراقبهم الموت والطمع من ظلمة كهف

قال الموت : إننى متعب ؛ أعطنى ثلث الرجال ودعنى أذهب

ولكن الطمع هز رأسه وأجاب : إنهم خدمى

قال الموت : ماذا تحمل فى يدك ؟

أجاب الطمع : ثلاث حبات من القمح ، ولكن مالك ولهذا ؟

صاح الموت : أعطنى حبة منها لأغرسها فى حديقتى ، حبة واحدة ثم أذهب بعيدا

قال الطمع : بل لا أعطيك شيئاً ، وخبأ يده فى ثوبه الفضفاض

فابتسم الموت وتناول كأساً ثم غمرها فى مجرى الماء فخرجت من الكأس البرداء[1] تسير بين الجمع الحاشد يتبعها ضباب بارد ، وتركض إلى جانبها حشرات الماء ، فوقع ثلث الخلق أمواتاً

وحينما شاهد الطمع أن ثلث الناس قد ماتوا أخذ يضرب صدره ويبكي ، ضرب صدره العارى وصاح بأعلى صوته : لقد ذبحت ثلث خدمى . أغرب عن هذا المكان . إن الحرب مستعرة فى جبال التتر ، وملوك كلا الطرفين المتقاتلين يدعونك . لقد ذبح الأفغان الثور الأسود وهم فى طريقهم إلى المعركة ؛ فما الذى يحبب لك الإقامة فى وادىّ هذا ، أغرب من هنا ولا تعد مرة ثانية

أجاب الموت : لا أذهب مالم تعطنى حبة القمح

ولكن الطمع قبض يده ، وشد على أسنانه وتمتم : لن أعطيك شيئاً

فابتسم الموت وتناول حجراً أسود ورماه فى الغابة فإذا بالحمى تخرج من شجرة برية ضخمة فى ثوب من اللهب ، وسارت بين الجمع الحاشد لا تلمس أحداً إلا صرعته

فارتمد الطمع وحثا على رأسه التراب صائحاً : إنك قاس ، إنك قاس ؛ يوجد مجاعة فى مدن الهند ذات الأسوار ، وقد جفت آبار سمرقند ، وهاجم الجراد مصر من الصحراء ، والنيل لم يعد يفيض على

(١) الملاريا

شطئانه بالخيرات ؛ إذهب من هنا إلى هؤلاء الذين هم فى حاجة إليك واترك لى خدى

فأجاب الموت : لا أذهب ما لم تعطنى حبة القمح

أجاب الطمع : لن أعطيك شيئاً

فابتسم الموت ثانية وصفر من خلال أصابعه فجاءت أمرأة تطير فى الهواء قد كتب على جبينها : « الطاعون » يحف بها سرب هزيل من العقبان ، فغطت الوادى بأجنحتها ولم يبق أحد على قيد الحياة

وعندها اختفى الطمع فى الغابة وهو يصرخ ، ووثب الموت على جواده الأحمر وأطلق له العنان فجرى به يسابق الرياح

وبكى الملك الشاب وقال كمن يخاطب نفسه : ليت شعرى ! من كان هؤلاء الناس وعم كانوا يبحثون ؟ أجاب رجل كان يقف وراءه : عن ياقوت لتاج الملك

فذعر الملك الشاب والتفت حوله فأبصر رجلاً فى ثياب الحجاج يحمل فى يده مرآة فضية ؛ فشحب لونه وقال : لتاج أى ملك ؟

فأجاب الحاج : إذا نظرت فى هذه المرآة فإنك تراه

فلما نظر فى المرآة وأبصر فيها وجهه هو صرخ صرخة عظيمة واستيقظ ، فإذا بنور الشمس اللامع ينساب فى الغرفة ، وطيور الحديقة تغنى وهى على الأغصان

* * *

ودخل عليه كبير الأمناء وأعاظم رجال الدولة فقبلوا الأرض بين يديه ، وأحضر له وصفاؤه الثوب المصنوع من ذهب ووضعوا التاج والصولجان أمامه ،

فنظر الملك فى الثوب والتاج والصولجان فأخذ بجمالها ولم يكن يخطر على باله أنها يمكن أن تكون بمثل هذا البهاء ، ولكنه تذكر رؤاه فقال لحاشيته : أبعدوها عنى ! سوف لا أرتديها

فشده رجال البلاط وابتسم بعضهم حاسباً أنه يمازحهم

ولكنه عاد يقول فى رزانة : خذوا هذه الأشياء واخفوها عنى ، لا أرتديها وإن كان اليوم يوم تتويجى ، لأن ثوبى هذا قد نسج بأيدى الألم البيضاء على نول الأحزان . إن الدم فى قلب الياقوتة ، والموت فى قلب اللؤلؤة ، ثم قص عليهم الرؤيا التى شاهدها

فلما سمعها رجال البلاط أخذ ينظر بعضهم إلى بعض ويتهامسون قائلين : فى الحق إنه لمجنون ! فهل الحلم إلا الحلم ؟ وهل الرؤيا إلا الرؤيا ؟ إن هى إلا أضغاث أحلام لا تستأهل الاهتمام ؛ وما علينا أن نفعل فى سبيل هؤلاء الذين يكدحون من أجلنا ؟ هل يجب ألا يأكل الإنسان الخبز حتى يرى الزارع ؟ أو ألا يشرب الخمر حتى يكلم العاصر ؟

وقال كبير الأمناء يخاطب الملك : مولاى صاحب الجلالة ، أتوسل إليك أن تبعد عنك هذه الأفكار السود ، وترتدى هذا الثوب الجميل ، وتضع على رأسك هذا التاج البهى ، إذ كيف يستطيع الشعب أن يعرف أنك الملك إذا لم تظهر له فى حلة الملك ؟

فنظر إليه الملك الشاب وسأله : أحقا ما تقول ؟ أصحيح أنهم لا يعرفوننى إذا لم أرتد حلة الملك ؟

فصاح كبير الأمناء : إنهم سوف لا يعرفونك يا مولاي

فأجابه : كنت أحسب أنه يوجد بين الرجال من يرتدي مثل ثياب الملك ، ولكن قد يكون الأمر كما تقول ، غير أنى لن أرتدى هذا الثوب ، ولن أتوج بهذا التاج ، وسأغادر هذا القصر كما جئته

ثم أمرهم أن يغادروه جميعهم إلا وصيفاً كان أصغر منه بعام احتفظ به كرفيق وخادم . وبعد أن اغتسل بماء قراح فتح صندوقاً كبيراً مزيناً بالرسوم وأخرج منه الثوب الجلدى والفروة الغليظة التى كان يلبسها وهو يرعى على جانب التل قطيع الماعز ، فارتداها وتناول فى يده هراوة المعّاز الضخمة ، ففتح الوصيف الصغير عينيه الكبيرتين الزرقاوين استغراباً وقال له وهو يبتسم : إني أرى ثوبك يا مولاى وصولجانك ولكن أين هو تاجك ؟

فقصف الملك الشاب غصناً من شجرة السلوج البرية التى كانت تتسلق على الشرفة فثناه وجعل منه دائرة ووضعه على رأسه وأجاب الوصيف : هذا هو تاجى

وخرج فى هذا الزى من حجرته إلى القاعة الكبرى حيث كان فى انتظاره النبلاء العظام ، فضحك منه بعضهم وصاح به آخرون : مولانا إن الشعب ينتظر مليكه وأنت ترى نفسك له شحاذاً

وقال جماعة منهم وقد استشاطهم الغضب : إنه يجلب العار لدولتنا ، وإنه لا يليق أن يكون سيدنا . ولكنه لم يجبهم بكلمة واحدة بل استمر فى سيره وهبط السلم الرخامي وخرج من الأبواب البرنزية وامتطى صهوة جواده واتجه نحو الكتدرائية والوصيف الصغير يجرى إلى جانبه

وابتسم الشعب وقال : إنه للملك مجنون هذا الذى يسير ممتطياً جواده ! وأخذوا يسخرون منه

فشد عنان جواده ووقف يخاطب الشعب بقوله : ولكننى أنا الملك ، وقص عليهم أحلامه الثلاثة . فتقدم إليه رجل من وسط الناس وقال يخاطبه فى مرارة : إن فى طغيان الأغنياء حياتنا ، وأنهبة الملك تعلمنا الشيء الكثير ، وأخطاؤه تعطينا خبزنا ، والغربان وحدها هى التى تمدنا بالعون . أتستطيع أنت أن تقول للمشترى اشتر بكذا وللبائع بع بهذا الثمن ؟ أنا لا أظن ذلك ، إذن فارجع إلى قصرك وارتد حلتك الجميلة المرصعة باللآلىء فما أحسبك تستطيع أن تفعل شيئاً من أجلنا

فاغرورقت عينا الملك الشاب بالدموع ولكنه لكز جواده فسار به بين همسات الشعب ، أما الوصيف الصغير فقد داخله الخوف فتركه

وحينما وصل إلى باب « الكاتدرائية » الكبير أشهر عليه الجنود بلطاتهم وقالوا : ماذا تفعل هنا ؟ لا يدخل من هذا الباب إلا الملك

فقال لهم : وقد علت وجهه أمارات الغضب : أنا الملك ، ودفع بلطاتهم عنه ودخل

وحينما شاهده الأسقف المجوز يدخل فى ثياب الراعى نهض عن أريكته مستغرباً وتقدم نحوه وقال له : أين حلة الملك يا ولدى ؟ بأى تاج سأتوجك وأى صولجان سأضع فى يدك ؟ إن هذا اليوم هو يوم فرح لك لا يوم مهانة

قال الملك الشاب : أيمكن أن يرتدى الفرح ماحاكته يد الحزن . وقص عليه أحلامه الثلاثة . وحينما

سمعها الأسقف قطب حاجبيه وقال :

— أى ولدى : إنى رجل عجوز فى آخر أيامى؛ وأنا أعلم أن آثاماً كثيرة ترتكب فى هذا العالم الواسع : ينزل قطاع الطرق العتاة من الجبال ويخطفون الأطفال الصغار ، ويبيعونهم إلى تجار الرقيق ، ويجثم الأسود يتربصون القوافل ليثبوا على الجمال ، ويقضم الثعالب الكرمة المتمددة على التلال ، ويخرب قرصان البحر السواحل ، ويحرقون مراكب الصيادين ، ويتجول الشحاذون في المدينة يأكلون طعامهم مع الكلاب . فهل تستطيع أنت أن تحول دون ذلك ؟ أتستطيع أن تجلس الشحاذ في بلاطك ؟ هل ينفذ الأسد أوامرك ؟ وهل يطيعك الخنزير البرى ؟ أليس الذى خلق الأسي أحكم منك ؟ إنى لا أوافقك على هذا الذى صنعت . بل أطلب إليك أن تركب وتعود إلى قصرك وتبسط أسارير وجهك ، وترتدى الكسوة التى تليق بالملك . إن متاعب هذا العالم أثقل من أن يحتملها رجل واحد ، وأحزان العالم أعظم من أن يطيقها قلب واحد

قال الملك الشاب : أأنت تقول مثل ذلك ، وتقوله فى هذا البيت ؟

وانصرف عن الأسقف متسلقاً درج المذبح إلى أن وقف أمام تمثال المسيح الذى كان يحمل فى يديه الكأسين الذهبيتين : كأس العشاء الربانى ، وفيه الخمر الصفراء ، وكأس الزيت المقدس ، فركع أمام التمثال والشموع الكبيرة تتألق إلى جانب المزار المرصع باللآلىء ، والبخور المحترق يتصاعد إلى القبة أكاليل صغيرة ، فأحنى رأسه يصلى ، وانسل القساوسة بقبعاتهم الخشنة من المذبح

وفجأة سمع صوت جلبة آتية من الشارع ثم دخل النبلاء وقد تزينوا بشاراتهم الخفاقة وارتدوا دروعهم الفولاذية اللامعة ، وأشهروا سيوفهم وكانوا يصيحون : أين صاحب الأحلام هذا ؟ أين هذا الملك الذى تزيا بزي الشحاذ ؟ هذا الغلام الذى جلب لدولتنا العار ، سنذبحه ولا ريب لأنه لا يصلح حاكماً علينا . أما الملك الشاب فقد أحنى رأسه وصلى ؛ ولما انتهى من صلاته نهض والتفت إلى من حوله يرمقهم بنظرة حزينة . عندها سلك إليه نور الشمس من خلال النافذة وغمره ، ونسجت أشعة الشمس حوله ثوباً حريرياً شفافاً هو أجمل من الثوب الذى نسج له من ذهب ، ونوّر غصن العسلوج الميت فاكتسى ألفاً أضوأ من اللآلىء ، وفتحت العصا الجافة فاكتست وروداً أكثر احمراراً من الياقوت

وقف هنالك فى حلة الملك ، وقد استولى على المكان مجد الله ، وخيل للجميع أن القديسين يهمون للحركة وهم فى حفرهم ذات النقوش

وقف فى حلة الملك الجميلة فعزف الأرغن أنغامه الشجية ، ودوت الطبول ، وأخذ الصبية يغنون ؛ أما الشعب فقد ركع فى خشوع ، وأغمد النبلاء سيوفهم وأقسموا للملك الشاب يمين الطاعة ، وشحب لون الأسقف وارتجفت يداه وركع يصيح أمام الملك : لقد توجك من هو أعظم مني

ونزل الملك الشاب عن المذبح المرتفع ، ثم سار إلى قصره وسط الشعب المحتشد فعنت لوجهه الأبصار وكان أشبه بوجه ملاك

« شرق الأردن » بشير الشريقى